

التعليم المعماري في مفترق الطرق

دكتور عبد الباقي ابراهيم

كبير خبراء الأمم المتحدة في التخطيط العمراني سابقاً

بدأت بعض الدول العربية تلجأ إلى إنشاء الجامعات الخاصة التي تضم أقساماً للعمارة في إطار الهندسة التي تضمها ولم تستقر أى جامعة منها على إنشاء معاهد أو كليات معمارية خاصة حيث لا يزال لقب المهندس يحمل كثيراً من الاعتراف الاجتماعي الذي لم يناله المعماري حتى الآن بسبب ضعف منظمات المهنة ، وتحاول بعض الجامعات الخاصة أن تحتمي بالجامعات الغربية لتقدير مستوى مناهجها ... كما تلجأ جامعات عربية أخرى بالالتزام بأسلوب التعليم الغربي لتأكيد الاعتراف الدولي بمستواها العلمي ، وفي نفس الوقت تحاول هذه الجامعات الحكومية أو الخاصة إستقطاب الأساتذة من المعماريين العرب العاملين في الجامعات الغربية وقد تجارب البعض منهم لهذه الدعوة للرجوع إلى الوطن العربي وذلك في حركة لجذب الخبرات المهاجرة للعودة إلى الوطن الأم ، كما تلجأ بعض الجامعات الخاصة إلى الجامعات الحكومية للأستعانة بمناهجها العلمية وبأساتذها حتى يسهل الاعتراف بعد ذلك بمستوى الخريجين هذا في الوقت الذي تعاني فيه بعض أقسام العمارة في الجامعات العربية من تدنى مستوى الأداء في العمليات التعليمية فيها.

وحيث لا يزال معظمها منطوياً تحت مظلة كليات الهندسة في الجامعات المختلفة دون أن يكون لها إستقلالية القرار في وضع المناهج وتطويرها باستمرار مع المتغيرات السريعة للعصر ، كما لا تزال كثيراً من أقسام العمارة تنقصها المناهج التي تعطي للمحتوى العلمي للمواد في صورة متكاملة مع أعمال التصميم والتخطيط ، كما يزال كثير من المدارس المعمارية العربية تبنى مناهجها بمدف تخريج المعماري المبدع المبتكر بالرغم من عدم توفير الأعداد المؤهلة الموهوبة لذلك وخلاف ما يتطلبه سوق الممارسة المعمارية من إعداد التصميمات التنفيذية أو إعداد المواصفات والكميات والشروط والعقود أو الإشراف على التنفيذ أو إعداد العطاءات والبرامج التنفيذية والتوقعات المالية أو مشروعات أو إدارة المشروعات أو مراقبة الجدوى والأختبارات وهذه جميعها تخصصات لا تعتمد على موهبة الأبتكار والأبداع التي يطلبها أساتذة العمارة في طلباتهم الذين يدخلون الجامعات تبعاً لتقديراتهم في الثانوية العامة وليس تبعاً لقدراتهم الأبداعية وميولهم الفنية، من هنا كانت مجموعات المواد الأختيارية الكثيرة في الجامعات العربية التي تسعى إلى تخريج المعماري المناسب للعمل المناسب وهذا ما ينقص المناهج المعمارية في العديد من الجامعات العربية ، ناهيك عن برامج التخطيط العمراني التي أختطلت بمناهج الدراسات المعمارية بما في ذلك من مواد الأقتصاد والأجتماع والجغرافيا والتحكم البيئي

وإدارة التنمية العمرانية المستدامة إلى آخر هذه المواد المتداخلة مع إختصاصيات أخرى متشعبة ، وهنا قد يزدحم عقل الطالب المعمارى بالعديد من التداخلات العلمية التكاملية فيأخذ الكثير من القشور ولا يستوعب أى مادة الأستيعاب الكامل الذى قد ينفعه في حياته العلمية خاصة وليس هناك ما يسمى بإمتحانات ممارسة المهنة كما في الدول الغربية ، فالطالب يخرج مسرعاً من الكلية إلى الممارسة العملية دون أن يكون مهياً لها ، وهنا تبدأ مشاكله مع الواقع وهنا تبدأ العملية التعليمية الأساسية ويصبح ما حصل عليه في الجامعة في خبر كان .

إن التعليم المعمارى يقف عند مفترق الطرق بحثاً عن أنسب طريق لأنسب هدف خاصة بعد قيام العديد من الجامعات الخاصة التى بدأت في إنشاء أقسام العمارة فيها ، وحتى الآن لم يقدم البديل للوضع القائم إلا من خلال بعض الأجتهدات التى لم ترى النور بسبب عدم صلاحية الجهاز الذى يتحكم في العملية التعليمية دون أن يكون ملماً بما وهو قطاعات الهندسة في المجلس الأعلى للجامعات التى يمثل الجانب المعمارى فيها الأقلية العظمى بلا جدل ولا قول ، وإذا كان الأمر قد وصل إلى ضرورة المشاركة الفكرية في هذا المجال فإن الوقت قد حان للجميع أن يدلوا بأرائهم وأفكارهم إذا كان لهم من الآراء والأفكار ما يخدم العملية التعليمية ويخدم المستقبل المعمارى في العالم العربى الذى سوف يبنيه تلاميذ اليوم .